قصة يوم عاشوراء

الخطبة الأولى

أيها المسلمون:

التذكيرُ بأيام الله الخالِدة، والوقوفُ أمامَها لأخذ العِبرة، وتذكُّر النِّعَم، ورسمِ مناهجِ السَّير لما يُستقبَلُ من الأيام شأنُ كلِّ أوَّابٍ حفيظٍ، وطريقُ الصَّفوة من عباد الله، ودَيدَنُ المُوفَّقين أُولي الألباب.

وإن من أعظم أيام الله التي يستقبِلُها المُسلمون: يوم عاشوراء، ذلك اليومُ الصالحُ الذي يُذكِّرُ الله فيه أهلَ الإيمان بنعمةٍ من أجلِّ نعمِه، وأعمقِها أثرًا، وأعظمها دلالةً، تلك هي: نعمةُ إنجاء موسى - عليه السلام - ومن معه من المؤمنين، وإغراق الطاغية فرعون وجزبه وجنوده ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ *فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ [الفجر: 11، 12]، حين استكبَروا في الأرض بغير الحقِّ، ونفَوا القيامة، وأنكَروا المعاد، وبلغ بفرعون عُتُوُّه وعلُوُّه وإسرافُه واستِكبارُه أن قال لقومه :﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: 38]، وقال لهم أيضًا :﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾]النازعات: 24.[

فقصَّ الله خبرَه في كتابٍ يُتلَى ليكون عِبرةَ الأبد، وعِظةَ الأيام، فقال - سبحانه :- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ *فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ *إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ *وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ *وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ *فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ *فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ *فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ *قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ *وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ *وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ *ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ *إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ *وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾]الشعراء: 52- 68.[

ويبسُطُ الإمامُ الحافظُ ابن كثيرٍ مدلولَ هذه الآيات العظيمة فيقول: "لما طالَ مقام موسى - عليه السلام - ببلاد مصر وأقام بها حُجَجَ الله وبراهينَه على فرعون وملَئِه، وهم مع ذلك يُكابِرون ويُعانِدون لم يبقَ لهم إلا العذابُ والنَّكال، فأمرَ الله موسى - عليه السلام - أن يخرُج ببني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضِيَ بهم حيث يُؤمَر، ففعل موسى - عليه السلام ما أمرَه به ربُّه - عز وجل -، وخرجَ بهم بعد ما استعارُوا من قوم فرعون حُلِيًّا كثيرًا.

وكان خروجُه بهم - فيما ذكرَ غيرُ واحدٍ من المُفسِّرين - وقتَ طلوع القمر، فلما أصبحَ قومُ فرعون وليس في نادِيهم داعٍ ولا مُجيبٌ، غاظَ ذلك فرعون واشتدَّ غضبُه على بني إسرائيل لما يُريدُ الله به من الدَّمار، فأرسلَ سريعًا في بلاده من يحصُرُ الجُندَ ويجمعُه، ونادى فيهم قائلاً: إن بني إسرائيل طائفةٌ قليلةٌ، وفي كل وقتٍ يصِلُ لنا منهم ما يغيظُنا، ونحن لذلك نحذَرُ منهم، ونُريدُ أن نستأصِلَ شأفتَهم.

فجُوزِيَ في نفسِه وجُنده بما أراد لهم، فخرجوا من النعيم الذي كانوا فيه، وتركوا تلك المنازِلَ العالية والبساتين والأنهارَ والأموالَ والأرزاقَ والمُلكَ الجاهَ الوافِرَ في الدنيا، كما قال تعالى :﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾]الأعراف: 137.[

وذكرَ غيرُ واحدٍ من المُفسِّرين أن فرعون خرجَ في محفلٍ عظيمٍ وجمعٍ كبيرٍ من أُولِي الحلِّ والعقد والدول من الأُمراء والوزراء والكُبراء والرُّؤساء والجُنود، فوَصَلوا إليهم عند شروق الشمس، فلما رأى كلٌّ من الفريقَيْن صاحبَه فعند ذلك ﴿ قال أصحابُ موسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: 61]، فقال لهم موسى - عليه السلام:- ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: 62]؛ أي: لا يصِلُ إليكم شيءٌ مما تحذَرون؛ فإن الله - سبحانه - هو الذي أمرَني أن أسيرَ ها هُنا بكم، وهو - سبحانه - لا يُخلِفُ الميعاد.

وكان هارون - عليه السلام - ومعه يُوشعُ بن نون ومؤمنُ آل فرعون، وموسى - عليه السلام - في السَّاقَة؛ أي: في المُؤخِّرة.

وذكرَ غيرُ واحدٍ من المُفسِّرين أنهم وقَفوا لا يدرُون ما يصنَعون، وجعلَ يُوشعُ بن نُون أو مُؤمنُ آل فرعون يقول لموسى - عليه السلام -: يا نبيَّ الله! ها هُنا أمرَك الله أن تسيرَ؟ فيقول: نعم.

واقتربَ فرعونُ وجنودُه ولم يبقَ إلا القليل، فعند ذلك أمرَ الله نبيَّه موسى أن يضرِبَ بعصاه البحر، فضربَه وقال: انفلِق بإذن الله، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: 63]؛ أي: كالجبل الكبير.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: صار البحرُ اثنَيْ عشر طريقًا لكلِّ سِبطٍ طريقٌ، وبعثَ الله الرِّيحَ إلى قعر البحر، فلفحَته فصار يَبَسًا كوجه الأرض، قال الله تعالى :﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾]طه: 77.[

وقال في هذه القصة :﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: 64]؛ أي: قرَّبنا من البحر هُنالك فرعون وجُنودَه وأدنيناه إليه، وأنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتَّبَعهم على دينهم، فلم يهلِك منهم أحدٌ، وأغرقَ فرعونَ وجُنودَه فلم يبقَ منهم رجلٌ إلا هلَك."

عباد الله:

إن في هذه الواقِعة من الدلالات والعِبَر ما لا يحُدُّه حدٌّ، ولا يستوعِبُه بيانٌ، وفي الطَّليعة من ذلك: أن الله تعالى هو المُنجِّي من الكُروب والشدائد التي تنزِلُ بأهل الإيمان، لا سيَّما الرُّسُل منهم، كما قال - سبحانه :- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾]يونس: 103.[

وهو دليلٌ بيِّنٌ على أن الإيمان والإسلام سببٌ للنجاة من كل ضُرٍّ وشرٍّ في الدنيا، وطريقٌ للفوز بكلِّ خيرٍ ونعيمٍ في الآخرة، إذا التزمَ المرءُ بمُقتضياتهما، وعمِلَ بأحكامهما، وهذا يقتضِي من العبدِ إخلاصَ العبادة لله، وصدقَ اللُّجوء إليه، وكمالَ التوكُّل عليه، ولُزومَ بابه بشدَّة الضراعة والإلحاح والتوسُّل إليه، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]غافر: 65.[

ومن ذلك: أن سُنَّةَ الله في دحرِ الطُّغيان وهزيمة جُنده ماضيةٌ لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّلُ، ولهذا قال - سبحانه - في بيان عاقبة فرعون:﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ *وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ *وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾]القصص: 40- 42.[

وعلى العكس منهم: أولئك الذين استُضعِفوا في الأرض، فنالَهم من صُنوف الأذى والعُدوان ما نالَهم، ونزلَ بهم من الضرِّ والشدائد ما نزَل، فقد جعلَ الله عاقبتَهم عِزًّا وسيادةً ورِيادةً وتمكينًا في الأرض، واستِخلافًا فيها، كما قال - سبحانه- :﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾]القصص: 5، 6.[

عباد الله:

لقد سنَّ رسولُ الهُدى - صلواتُ الله وسلامُه عليه - للأمَّة صيامَ هذا اليوم العظيمِ المُبارَك شُكرًا لله تعالى على نعمةِ إنجائِه موسى - عليه السلام - ومن معه من المُؤمنين، وإغراقِ فرعون وجُنودِه، وإظهارًا لوَثيقِ الصِّلةِ بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ولبيان أن دينَهم واحدٌ وإن كانت شرائِعُهم شتَّى.

فقد أخرجَ الشيخان في" صحيحيهما"، واللفظُ للبُخاريِّ - رحمه الله -، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: قدِمَ النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينةَ، فرأى اليهودَ تصومُ يوم عاشوراء، فقال» :ما هذا؟ .«قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومُ نجَّى اللهُ بني إسرائيل من عدُوِّهم، فصامَه موسى. قال - صلى الله عليه وسلم» :- فأنا أحقُّ بمُوسى منكم«، فصامَه وأمرَ بصيامه.

وفي لفظٍ لمُسلمٍ - رحمه الله» :- هذا يومٌ عظيمٌ أنجَى الله فيه موسى وقومَه، وأغرقَ فرعون وقومَه، فصامَه موسى.«

وفي لفظٍ للطبراني - رحمه الله -: أنه - عليه الصلاة والسلام - قال» :نحن أحقُّ باتباع مُوسى منكم.«

وأخبرَ - صلوات الله وسلامه عليه - عن عِظَم ثواب صيام هذا اليوم فقال» :صيامُ يوم عاشوراء أحتسِبُ على الله أن يُكفِّرَ السَّنَةَ التي قبلَه«؛ أخرجه مسلمٌ في "صحيحه" من حديثِ أبي قتادةَ الأنصاريِّ - رضي الله عنه.-

فاتقوا الله - عباد الله -، واحرِصوا على إدراك هذا الفضلِ العظيم؛ بصيام هذا اليوم العظيم، ولُزوم السنَّة فيه، بالاتباع لهدي خيرِ الورَى - صلى الله عليه وسلم-

نفعَني الله وإياكم بهديِ كتابه، وبسُنَّة نبيِّه - صلى الله عليه وسلم -، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنبٍ، إنه هو الغفور الرحيم.

Among the greatest of these days is **the Day of 'Ashura'**, a blessed day in which Allah reminds the believers of one of His greatest favors: the salvation of **Prophet Moses (peace be upon him)** and his people, and the destruction of **Pharaoh and his army**, who had oppressed and spread corruption in the land. Pharaoh's arrogance reached the point where he declared:

"I know not for you any god other than me" (Al-Qasas 28:38),
and, *"I am your lord, the Highest."* (An-Nazi'at 79:24)

Allah recorded Pharaoh's story in the Qur'an as a lesson for all generations. He says:

"We inspired Moses, 'Set out with My servants; indeed, you will be pursued.'... Then We saved Moses and those with him, and We drowned the others."
(Ash-Shu'ara 26:52–68)

Imam Ibn Kathir explains: after Pharaoh rejected every sign, Allah commanded Moses to lead the Israelites out of Egypt by night. Pharaoh pursued them with a great army. When the two groups met at the sea, the followers of Moses feared capture. But Moses said:

"No! Indeed, with me is my Lord; He will guide me."

Allah then commanded him to strike the sea with his staff, and it split into dry paths for each of the twelve tribes. Moses and his people crossed safely. Pharaoh and his army followed and were all drowned.

O servants of Allah,
This event carries many lessons. First and foremost, that **Allah alone is the Savior of the believers**, especially His prophets. As Allah says:

"Thus it is incumbent upon Us to save the believers." (Yunus 10:103)

It shows that **faith and obedience to Allah lead to salvation** in this life and the next. It also reminds us that **oppression and tyranny always end in ruin**, as in Pharaoh's fate:

"We seized him and his soldiers and cast them into the sea... and made them leaders calling to the Fire."
(Al-Qasas 28:40–42)

In contrast, those who were oppressed were raised and made leaders, as Allah said:

"We wanted to favor those who were oppressed... and make them inheritors."
(Al-Qasas 28:5–6)

The Sunnah of Fasting 'Ashura'

The Prophet Muhammad ﷺ established the **fast of ‘Ashura’** as a way to thank Allah for saving Moses and his people and to express the unity of all prophets.

Ibn ‘Abbas (may Allah be pleased with him) reported:

“When the Prophet ﷺ came to Madinah and saw the Jews fasting on ‘Ashura’, he said: ‘What is this?’ They replied, ‘This is a good day. Allah saved the Children of Israel on this day, so Moses fasted.’ The Prophet ﷺ said: ‘We have more right to Moses than you,’ so he fasted and instructed the Muslims to fast.”

He ﷺ also said:

“Fasting the Day of ‘Ashura’, I hope from Allah it will expiate the sins of the past year.” (Narrated by Muslim)

So, fear Allah, and strive to fast this blessed day in accordance with the Sunnah, out of gratitude to Allah and in following the example of the Prophet ﷺ.